كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، في افتتاح الطابق الجديد لكليّة العلوم في حرم العلوم والتكنولوجيا، يوم الأربعاء الواقع فيه ٢٠ نيسان (أبريل)، في الساعة الرابعة والنصف من بعد الظهر.

في إحدى المرّات، قال لي أحد الآباء اليسوعيّين : "عندما تسعون إلى مرتبة الشرف، قوموا بتشييد المباني، ولكن عندما ترغبون في البناء، تمتّعوا ببعد النظر".

إنطلاقًا من هذه الفكرة، أستطيع القول إنّ الجامعة حين قرّرت أن تبني مساحة إضافيّة لكليّة العلوم باقتراحٍ من العميد الفخريّ البروفسور توفيق رزق، كان المبنى الحاليّ الذي شُيِّد في العام ١٩٩٧ يستطيع أن يستقبل عددًا من الطلاب يصل أقصاه إلى ٢٥٠ طالب وبعض المعلّمين المتفرّغين لدوام كامل. ولكن، حاليًّا، تضمّ الكليّة ٤٤٠ طالب و٢٥ معلّم متفرّغ. الأنشطة البحثيّة خلال تشييد البناء في العام ١٩٩٧ كانت مختلفة عن اليوم. فكليّة العلوم تضمّ حاليًّا ١٤ مختبر للأبحاث تُنتج سنويًّا عشرات المنشورات العلميّة الدوليّة وبعض براءات الإختراع ويتردّد إليها الطلاب بطريقة شبه دائمة. هذا الوضع وهذه الحاجات تطلّبت تنفيذ فكرة بناء مساحة من ١٦٠٠ متر مربّع ليكون لنا عدد إضافيّ من قاعات الدراسة والمكاتب لاستقبال ما يقارب عشرة معلّمين متفرّغين للتعليم. وبا أنّ الأمر يتعلّق الآن بطابق إضافيّ بانوراميّ، يطلّ على منظر عامّ، سيشعر الطلاب بأنّهم أفضل حالاً وسيعملون بطريقة أفضل اللهمّ إلا إذا كان البعض سيتأمّل السماء بدلاً من النظر إلى اللّوح واكتساب المعارف الجيّدة. وهكذا فإنّ بناء الطابق الجديد أتاح الفرصة للحصول على ثلاث قاعات محاضرات (تتّسع لـ٢٢٨ طالب) و ١٢ مكتب للمعلّمين مع ردهة في الداخل لساعات الراحة والاسترخاء التي يحتاج إليها الطلاب.

في الواقع، مذ أقفلت فرنسا في العام ١٩٧٥ مركز الدراسات في الرياضيّات في معهد الآداب، وجدت مدارس التعليم الثانويّ صعوبة كبيرة في توظيف أساتذة للاختصاصات العلميّة يتمتّعون بالكفاءة وناطقين فعليًّا باللّغة الفرنسيّة. وكان من الأساسيّ، من أجل ضمان استمراريّة التعليم العلميّ الفرنكوفونيّ، إعادة وضع برامج تنشئة على المستوى نفسه. أعتقد أنّ الكليّة استطاعت مواجهة التحدّي بشجاعة وتحقيق رسالتها في خدمة هذه القضيّة النبيلة، ألا وهي تعزيز التعليم العلميّ الفرنكوفونيّ. جاءت مراكز الأبحاث لتساند جودة التعليم وأهميّته وانفتاح الكليّة على السوق اللبنانيّة.

في هذا الاتّجاه، أتاحت ديناميّة إطار المعلّم الباحث في الكليّة إنجاز مشاريع كانت حتّى اليوم تُعتَبَر غير قابلة للإنجاز في السياق المحلّي اللبنانيّ. نستطيع أن نذكر بهذا الخصوص، إنشاء بنك لبنانيّ لزرع الأنسجة البشريّة ومختبر القياس وتجزئة النظائر كأساسٍ لقياس صحّة الغذاء.

بالإضافة إلى ذلك، لم تتوانى الكليّة في الانطلاق سريعًا في البحوث الأساسيّة. فهي لديها مشاريع مع شركاء عدّة لبنانيّين ومن الخارج. وهي عضو في شبكة المؤتمر الدوليّ لمسؤولي الجامعات والمؤسّسات العلميّة الناطقة بالفرنسيّة (CIRUISEF)، ورابطة كليّات العلوم في العالم الفرنكوفونيّ (الناطق باللّغة الفرنسيّة). وهي أيضًا على اتّصال مع مختلف المؤسّسات ومن بينها المؤسّسة الفرنسيّة للفيزياء أو أيضًا الجمعيّة اللبنانيّة لتقدّم العلوم (LAAS) . إنّ وحدة الأبحاث المرتبطة بالمركز الوطنيّ اللبنانيّ للأبحاث العلميّة CNRS والتي تأسّست معه ومع مركز الجامعة الأميركيّة في بيروت هي أيضًا شكلٌ آخر من أشكال العمل البحثيّ في مجال تلوّث الهواء في بيروت. وأخيرًا، مجال البيئة والتنوّع البيولوجيّ هو مجال حيث الكليّة هي فاعلٌ أساسيّ فيه حاليًّا. هناك أيضًا مساهمة مع المنظّمة غير الحكوميّة "جذور لبنان" تؤدّي إلى ايجاد "مختبر الإنبات والحفاظ على البذور" في قاعات الكليّة. لهذا الغرض، هناك قاعدة بيانات « E FLORE » أبصرت النور مؤخّرًا وهي تصلح لجرد الغنى النباتيّ في لبنان.

وقد نجحت الكليّة مؤخّرًا في إضفاء قيمة على البعض من نتائجها في مجال الأبحاث بمشاركتها في إنشاء مصنع لإنتاج المبيدات الحيويّة بالشراكة مع المنظّمة غير الحكوميّة Arc en Ciel (قوس قزح) ودير الآباء اليسوعيّين في تعنايل، وهدف هذا المصنع هو دعم المزارعين اللبنانيّين لتخطّي المصاعب التي تعترض طريقهم عن طريق تطبيق التقنيّات العلميّة الأكثر ملاءمةً للبيئة في زراعاتهم بقدر الإمكان.

في هذا السياق، أودّ أن أهنّئ كتيّة العلوم لحصولها على شهادة الآيزو ISO ، (المنظّمة العالميّة للتقييس) ٩٠٠١-٢٠٠٨ للماستر في التكنولوجيا الصناعيّة، وقد سلّم الشهادة ممثّلٌ عن وكالة الإعتماد الأستراليّة (SAI GLOBAL). وهي ليست إلا سعفة شرف تُضاف إلى جودة ما تحقّقه الكليّة في مجالاتها المتعدّدة. إنّها ديناميّة شهادة يجب أن تستمرّ كي تشمل المختبرات ومراكز الأبحاث، بحيث تقدّم الكليّة خدماتها في التنشئة المستمرّة إلى التقنيّين، كما تقدّم خبراءها إلى المؤسّسات الخاصّة والعامّة كما كان الحال مؤخّرًا مع وزارة الصحّة ومشكلة القمح الفاسد.

هذا التطوّر الذي تنجزه الكليّة لم يبدأ مع العميد الحاليّ ولم يتمّ في غضون ساعات قليلة لكنّه اندرج في منظور تاريخيّ عمره ٢٧ سنة من سياسة التنمية الناجحة. وكان العميد الفخريّ، السيّد توفيق رزق، معنيًّا بهذا الأمر، وظلّه يحوم فيه، ولا ننسى الفريق الهائل لهذه الكليّة الذي لا يزال يدهشنا بزخمه البشريّ والأكاديميّ. وكما أنّ الأحداث الجيّدة تستمرّ في الكليّة، نهنّئ السيّدة ميراي كلاّسي، الأستاذة في هذه الكليّة، لأنّها نالت الجائزة الأولى للجمعيّة اللّبنانيّة لتقدّم العلوم ! مبروك.

أيّها الأصدقاء الأعزّاء، دعوني أشكر كلّ الذين أنجزوا هذه المساحة الجميلة. شركات "حكيمه"، أندريه وفريد وفريق عملهم وزملاءهم، المهندس السيّد إميل عبو وأيضًا نائب رئيس الجامعة للشؤون الإداريّة بشخص السيّد وجدي نجم، المرجع الرئيسيّ لهذا الإنجاز العظيم، السيّد المدير وفريقه.

أيّها الأصدقاء الأعزّاء، استمرّوا في التطلّع إلى الأمور ببعد نظر وبرؤية شاملة، من أجل مجد الله ومجد جامعة القدّيس يوسف.